البناء العلمي

الأكاديمية الإسلامية المفتوحة
www.islamacademy.net
ملتقى العلم والعلماء



مقاصد الشريعة

الفصل الدراسي الثالث

معالي الشيخ / د. سعد بن ناصر الشثري

الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

مقصد نصرة الحق.

- قصد الشارع من المكلفين، أن يكونوا ناصرين للحق، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»، قالوا: يا رسول الله، هذه نصرته وهو مظلومٌ، فكيف ننصره وهو ظالمٌ؟ قال: «بأن تحجزه عن الظلم».

وقد قال الله -تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 33].

- ومن هذا المنطلق نؤكد على أن هذا المعنى، وهو نصرة الحق من المعاني العظيمة، التي جاء بها ديننا الحنيف، **ولتحقيق هذا المقصد جاءت الشريعة بعددٍ من الوسائل،**

١) فمن ذلك ما جاءت به الشريعة من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: 71]، وكما قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو لتدعون الله ثم لا يستجاب لكم»، فيه نصوصٌ كثيرةٌ تدل على أهمية هذه الشعيرة المباركة.

٢) ومما جاءت به الشريعة من باب نصرة الحق، الدعوة إلى الله، والدعوة إلى الخير والهدى ، فقد جاءت الشريعة بالأمر بذلك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 2، 3]، التواصي بالحق هذا هو الدعوة إلى الله.

٣) مما جاءت به الشريعة لتحقيق هذه الغاية ألا وهي نصرة الحق، أن جاءت بمشروعية التعاون بين الناس في ما يكون من الحق، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2].

٤) ومما جاءت به الشريعة لتقرير هذا المبدأ: القضاء بين المتخاصمين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: 105].

٥) مما جاءت به الشريعة لتحقيق هذا المبدأ: مشروعية الجهاد في سبيل الله -سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40].

٦) ومما جاءت به الشريعة لتقرير هذا المقصد العظيم، مقصد نصرة الدين والحق: ما جاءت به من مشروعية الاجتماع، والتآلف، واجتماع الكلمة، فإن هذا المعنى معنًى عظيمٌ، وقد تواترت النصوص

بتحقيقه، ومن الأدلة على هذا، قول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103].

- فيه نصوصٌ كثيرةٌ تنهى عن التفرق والاختلاف، وتأمر بالاجتماع والتآلف، وكون الناس يدًا واحدةً.

ومن هذا قول النبي -صلى الله عليه وسلم: «يد الله مع الجماعة» ، وقوله: «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»، وهكذا في قول النبي -صلى الله عليه وسلم: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا» ، الثاني: «أن تعتصموا بحبل الله جميعًا، ولا تفرقوا» ، فهذه ميزةٌ كبيرةٌ، أن نعتصم بحبل الله جميعًا، وأن لا نتفرق.

- ومن أجل أن يجتمع الناس يكون بينهم أسبابٌ تفرقهم، ويختلفون من أجلها، وإذا جاءت الشريعة بنزع هذه الأشياء المفرقة.

الأمور التي تكون مسببةً للفرقة.

١) إذا كان هناك نزاعاتٌ قضائيةٌ، كان هناك اختلافاتٌ ماليةٌ، فهذا سيؤدي إلى تفرقهم، وعدم اجتماعهم، ومن هنا جاءت الشريعة بالقضاء في الاختلافات والنزاعات، بكتاب الله -عزَّ وجلَّ-، بما يدرأ الخصومة بعد ذلك، ولذا قال كما في الآية السابقة: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: 105].

٢) ما يتعلق بالعصبيات ، فهذا متعصبٌ لبلدٍ، وذاك متعصبٌ لقبيلةٍ، وهذا متعصبٌ لمهنةٍ، وهذا متعصبٌ لفنٍّ من الفنون، كل هذه العصبيات مذمومةٌ، غير مرغوبٍ فيها، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ [الأنعام: 153]، وكما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159].
هكذا سواءً كانت هذه العصبية لقبيلةٍ، يتعصبون لقبيلةٍ، وبالتالي ينافرون غيرهم، ويرون أن غيرهم من الناس والقبائل أقل، أو يتعصبون إلى بلدٍ ينتمون إليها، أو يتعصبون لشيءٍ من المجالات العلمية، أو حتى مجالات اللهو والترفيه، وهكذا أيضًا لو كانت العصبية بسبب انتماءٍ إلى مدينةٍ، أو انتماءٍ إلى قبيلةٍ، أو أي نوعٍ من أنواع الانتماء.

٣) ما قد يحصل بين الناس من القدح، قدح بعضهم في بعضهم الآخر، وغيبة بعضهم في بعضهم الآخر، فهذه أسبابٌ تورث عداوةً وبغضاء، وتبعد الاجتماع والتآلف، ولذلك نهت الشريعة عن ذلك، قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوقٌ، وقتاله كفرٌ» ، وبالتالي ينتهي المؤمنون عن السباب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 58]، وقال سبحانه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: 53].

٤) قد يكون هناك نميمة، تجعل الناس يتفرقون ويعتدون، ما هي النميمة؟ نقل الحديث على جهة الإفساد، خلاف الغيبة، فإنها ذكر معايب الآخرين، ما هي الغيبة؟ ذكر معايب الآخرين، بينما النميمة: نقل الحديث على

جهة الإفساد، فلان يقول فيك كذا، وفلانٌ ذكرك بسوءٍ، فهذه الأنواع من أنواع الحديث هي من أنواع الغيبة، التي يأتي الشرع بذمها.

٥) هكذا مما شُرِع الاجتماع من أجله: ألا يكون هناك فُرقةٌ دينيةٌ، فإنه متى كان هناك اختلافٌ وتنازعٌ وتضادٌ بين أصحاب هذه الأمور في هذا سيورث أن كل واحدٍ منهم سيسير على طريقةٍ ومذهبٍ مخالفٍ لطريقة الآخر، وبالتالي مع المدة ومع الزمن يحصل تفرقٌ كثيرٌ، واختلافٌ كثيرٌ جدًّا، وبالتالي لا تستقيم حاله.

٦) ما يتعلق بوجود الفرقة الدينية، التي تكون بين الناس ، فإن الفرقة الدينية يعني إذا كان هناك اختلافٌ شرعيٌّ بيني وبينك، ورأيته في مسألةٍ قاطعةٍ، فحينئذٍ يحصل تفرقٌ واختلافٌ، إذا عذرتك، قلت: هذا غايةٌ مقصودةٌ، فلا يحصل اختلاف.

٧) البغي، والتطاول، فإن الناس قد يأتيهم من يبني المسجد الصغير، فبالتالي يتطاولون، ويقولون: هذا مسجدٌ صغيرٌ، ماذا ينفع؟ ومن ثمَّ لا يحصل هناك تعاونٌ، ولا توادٌّ، بخلاف ما إذا ساهم ولو بالقليل.

المقصود أن البغي من أسباب التفرق والاختلاف، فإذا وجد اجتماعٌ وتآلفٌ، ثم وجد معه البغي، فحينئذٍ هذا الاجتماع سيؤول إلى فُرقةٍ، قال الله -عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 14].

٨) ما يتعلق بعدم معرفة بعض الناس بحقوق الآخرين، قد يعرف ما يجب عليه من واجباتٍ وحقوقٍ، لكنه لا يفعل مثل ذلك بالنسبة لجاره، ففي هذه الحال نقول بأن العبد مأمورٌ ببذل الأسباب المؤدية إلى استصلاح حال جاره، وبالتالي يكون هذا المعنى من المعاني التي تشتمل عليها كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

الأسباب التي تؤدي إلى الاجتماع.

١) نشر المحبة الإيمانية، فإن الناس متى أحب بعضهم بعضًا تعاونوا واجتمعوا، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2]، إذا حصل محبةٌ، اجتمع الناس وتآلفوا، والمحبة الإيمانية من أفضل الأعمال التي جاءت بها الشريعة المباركة، من يذكر لنا حديثًا في المحبة الإيمانية؟

قوله -صلى الله عليه وسلم: «ثلاثٌ من كنَّ فيه، وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر، كما يكره أن يُقذف في النار».

وهناك آياتٌ كثيرةٌ كما في قول الله -عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، فجعلهم يستشعرون معنى الأخوة الإيمانية.

٢) الاجتماع على الشعائر، أي أن نصلي في جامع أهل الحي، وفي صلاة العيد، وفي صلاة الجمعة يختلف، فهذا يدلك على أن الاجتماع على الشعائر الإسلامية يورثنا أن نكون مجتمعين، متآلفين، متعاونين، يعني مثلًا في اجتماع الحج، الذي يفد إليه الناس من مشارق الأرض ومغاربها، هذا يؤدي إلى أن يكون هناك محبةٌ، واجتماعٌ، وتآلفٌ، وهذا -بإذن الله عزَّ وجلَّ- سينعكس أثره من خلال فعل الشعائر المتعلقة بتلك الشعيرة، ومن خلال النظر في أحوال من يريدون أن يتعلموا أو أن يستفيدوا من مثل هذه الشعائر.

وقد أكدت الشريعة على هذا المعنى، فأوجبت صلاة الجماعة، كما قال تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: 43]، وهي كذلك أيضًا شرعت عددًا من الوسائل التي تؤدي إلى هذا المعنى.

٣) احترام الروابط التي تكون بين الناس، هناك روابط بين هؤلاء وهؤلاء، هذه الروابط لابد من مراعاتها، واحتوائها؛ لأنها هي التي توصلنا إلى تحقيق الواجب الشرعي في باب الإحسان إلى القرابة، ونمثل لهذا بجانب مثلًا الجيران، بعضهم له حقٌّ على بعضهم الآخر، أليس كذلك؟ فهذا الحق يورث المعنى الذي ذكرناه، ألا وهو معنى الاجتماع والتعاون.

٤) الحرص على الإصلاح بين المتخاصمين، متى بادر الناس للإصلاح بين المتخاصمين بمجرد ورود الخصام، حينئذٍ نقول بأنه تصلح أحوال الناس وتستقيم، ويكونون محققين لمقصد الشارع، بخلاف ما إذا كان الأمر بنظرةٍ غير مباليةٍ إلى مثل هذه النزاعات، والنزاعات الكبيرة مبدؤها نزاعاتٌ صغيرةٌ.

٥) ما يكون في القلوب من رحمة الناس بعضهم لبعضهم الآخر، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم: «والله لن تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

قبل هذا في قول الله -عزَّوجلَّ- عن النبي -صلى الله عليه وسلم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]، فالمقصود أن هذه الأخلاق الإسلامية تجعل الناس يجتمعون، ويتآلفون، ويتعاونون، وتستقيم أحوالهم.

٦) طيب المنطق، واختيار الألفاظ الحسنة، والأقوال الجميلة، التي تذعن لها النفوس، هذا من أسباب قبول الحق.

٧) ما يتعلق بالصدقة والزكاة، فإن الناس متى كانوا يؤدون هذه الشعيرة، ترابطوا فيما بينهم، ولم يعد الفقير يحسد الغني على ما آتاه الله -عزَّوجلَّ- من ماله، حينئذٍ يستشعر الإنسان هذا المعنى، وأن الصدقة والزكاة والأوقاف هذه من أسباب تحقيق هذا المقصد الشرعي النبيل، الذي ينفي العنصرية، والذي يندرج تحت قواعد الاجتماع والتآلف.

٨) أن تكون هناك حلقاتٌ علميةٌ في المجتمعات، يعني الاجتماع في طلب العلم، فهذا يجعل الناس يحرزون من عداوة عدوهم الشيطان الرجيم، ويكون هذا من أسباب استقامة أحوالهم، وانظر لقول النبي -صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه في ما بينهم، إلا حفت عليهم الملائكة، وتنزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله في من عندهم» ، هذه أسبابٌ عظيمةٌ، ينبغي للمؤمن أن يحرص على تحصيلها، وهي محصلةٌ للمعنى الذي ذكرته، ولذلك نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يتناجى اثنان دون الثالث، لماذا؟ لأن ذلك يحزنه، فيؤدي إلى الفرقة في ما بينهم.

٩) احترام حق أصحاب الولاية، من الإمام الأعظم ونوابه، فإن هذا يجعل الإنسان ممن اتصف بصف التعاون على البر والتقوى، ولذا قال هنا: إثبات حق الولاية، واستدل بقوله -صلى الله عليه وسلم: «من أتاكم وأمركم جميعٌ، يريد أن يفرّق كلمتكم فاقتلوه، كائنًا من كان» ، وحينئذٍ نحترم حق الولاية الذي يقون فيه صاحب الولاية بتنظيم هذا التنظيم والترتيب والتهيئة والأذونات بهذا المعنى.

وهكذا أيضًا يلاحظ من له أمرٌ، مثل القاضي، مثل الوالد؛ لئلا تتداخل الحقوق، وبالتالي تضيع جميعًا.

١٠) ومن الأمور التي تورث المحبة بين الإخوان: أن يكون هناك تعاونٌ بين المؤمنين، كما في قول النبي -صلى الله عليه وسلم: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا**».

١١) يكون هناك تحكيمٌ للكتاب والسنة في كل ما يعرض للإنسان، حتى فيما يتعلق بأموره، قال تعالى: ﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ**﴾ [الشورى: 10].

١٢) ما يكون عند بعض الناس من خلق الشُّح، فإن الشح يجعل الناس يتنافرون ولا يحب بعضهم بعضهم الآخر، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم**» الحديث.

١٣) من الأسباب التي تؤدي إلى اجتماع الناس نفي البدع، والسعي إلى إلغاء البدع، فإن البدعة طريقةٌ مذمومةٌ في الدين، وليست على طريق النبي صلى الله عليه وسلم، إذن البدع ليست محمودةً بل هي مذمومةٌ؛ لعدم فعل النبي صلى الله عليه وسلم لها.

إذا وجدت بدعٌ، تفرق الناس واختلفوا، وإذا اتحدت كلمتهم فالغالب تتحد أو ينفون مثل هذه البدع، أما الأحاديث في نفي البدعة، ففي مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**»، ولذلك ردَّ الأمانات إلى أهلها بني شيبة.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم، وقطعوا أرحامهم**»، أو كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم.

ذكرتم الغيبة، أنه ذكر معايب الآخرين، فلو كان يذكر ليس معايب، بمعنى يذكر فيه، وهذا شيءٌ، مثلًا إنسانٌ شحيحٌ أو إنسانٌ حسودٌ، هو يذكر هذا الشيء فعلًا موجودٌ في هذا الإنسان فما حكم هذا؟

الأصل في ذكر معايب الآخرين التحريم وأنه لا يجوز، لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ [الحجرات: 12]، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**ما تعدون الغيبة فيكم؟**»، فأخبرهم أن الغيبة هي ذكرك أخاك بما يكره.

- المقصود مما سبق أن عندنا مقصدًا شرعيًّا وهو نصرة الدين، هذا مقصدٌ شرعيٌّ عظيمٌ، وقد جاءت النصوص بالتأكيد عليه، وأنه يثبت للمؤمنين، لكن له شرطٌ، قال تعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾ [غافر: 51]، فدل هذا على أن تفريق الدين أمرٌ مذمومٌ، وغير مطلوبٍ، وأن الله عزَّوجلَّ قد تكفل بحفظ هذا الدين، ومن حفظه نصرة أهله، وعدم تفرق كلمتهم، لأنهم متى تفرقوا ذهبت ريحهم، كما قال عزَّوجلَّ: ﴿**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [آل عمران: 105]، وقال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال: 45، 46]، فهذا التفرق والاختلاف والنزاع يؤدي إلى هذه النتائج المذكورة في مثل هذه الآية.
- الاجتماع هذا وسيلةٌ لتحقيق المقصود الشرعي وهو نصرة الدين، ونصرة الدين هي مقصدٌ للشارع، قال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الخَيْلِ**﴾ [الأنفال: 60]، هذا مقصد الشارع أن يكون هناك

نصرةٌ لدين الله عزَّ وجلَّ، والله عزَّ وجلَّ يتكفل بأن ينصر من نصر دينه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: 25].

- فمن ثمّ وجود مثل هذا السلاح يفيد الناس وبشرط أن يكون استعماله على الضوابط الشرعية المقررة، وإلا قد يؤدي إلى خلاف مقصود الشارع.
- عندنا مقصودٌ وهو نصرة الدين، ومن نصرة الدين هناك هذا المقصود له وسائل متعددةٌ ذكرنا منها مثلًا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة، تلاحظون بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر بالمعروف فيه أمرٌ وإلزامٌ، ونهيٌ وإلزامٌ بالنهي، وهذا يكون لصاحب الولاية ولمن يأمرهم، يأمر الناس بطاعة الله وينهاهم عن معصيته.
- فالمقصود هنا أن هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحقق المقصود والغاية الشرعية وهي نصرة دين الله سبحانه وتعالى، ومثله في الدعوة التي جاءت النصوص بالتنويه بها ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].
- فهنا الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ نوع من أنواع نصرة دينه سبحانه وتعالى، ومثله فيه مسائل القضاء، القاضي يقضي بين الناس لإرساء الحقوق لأصحابها، وبالتالي يتآلفون وتجتمع كلمتهم ويتعاونون، مثله في أبواب القضاء وفيه غيره من الأبواب.

احترام الروابط التي تكون بين الناس، لم أفهمه جيدًا؟.

أخوك بينكما علاقةٌ أليس كذلك؟! رابط أخوةٍ، هذه الأخوة جاء الشرع بالأمر باحترامها وإعطائها حقها من العناية والاعتناء، فإذا وجد هذا الحق وحصل اعتناءٌ من الناس به، فإنهم حينئذٍ سيتآلفون وسيكون هذا من أسباب تعاونهم على البر والتقوى.

- نصرة الله عزَّ وجلَّ تكون للمؤمنين متى نصروا دين الله، كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7]، كما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ أي كافيك الله، ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: 62، 63]، هذه نعمةٌ كبيرةٌ التي هي تأليف القلوب، لذا قال في الآية الأخرى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ [آل عمران: 103].
- فالمقصود أن من قام بهذه الوسائل فإنه سيتحقق عنده ذلك المقصود، وذلك الأمر المهم ألا وهو الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، فالدعوة إلى الله هذه وسيلةٌ، تصل بنا إلى نصرة دين الله عزَّ وجلَّ، هكذا نصرة دين الله عندما ننصر دين الله ينصرنا الله، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: 51]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: 171- 173].

ما يتعلق بالتحكيم بالكتاب من الوسائل، فكيف يتم تطبيقها في مثلًا في البلاد غير المسلمة، وبها مسلمون وبها غير المسلمين؟.

أنت نظرت إلى أن المقصود بالقضاء مجرد الفصل بين الناس، وهو معناه أعظم من هذا، ألا وهو إيصال الحقوق لأصحابها، فالمقصود أن هذا التحكيم للكتاب والسنة يجعل الناس تجتمع كلمتهم ويتآلفون، أليس

كذلك؟! بخلاف ما لو لم يكن هناك تحكيمٌ للكتاب والسنة، فإن كل واحدٍ منهم سيذهب لمصدرٍ آخر مغايرٍ لمصدر الأول وبالتالي يحصل اختلافٌ فيها واضطرابٌ لأنها جهدٌ بشريٌّ والله عزَّ وجلّ يقول: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]، ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ [النساء: 82].

ما يتعلق بالتحكيم إلى كتاب، أنا أرى أن البلاد التي لا يوجد بها القضاء الإسلامي؟.

هذه بلدانٌ ليس فيها قضاءٌ إسلاميٌّ، لو تنازع عالمان واختلفا ماذا يفعلان؟ يُردان إلى الكتاب والسنة، ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 10]، هل يحتاجون إلى وجود قاضٍ؟ لا يحتاجون، إذن التحكيم إلى الكتاب ورد الناس إلى الكتاب والسنة مكفولٌ للجميع، الصغير والكبير، كلهم مكفولٌ لهم ذلك، حتى ولو كانوا في بلدانٍ غير إسلاميةٍ.

هناك أشياءٌ تحتاج إلى صاحب ولايةٍ، مثل تطبيق الحدود، ما يفعله أفراد الناس ولا جماعتهم إنما يوكل إلى صاحب الولاية الحكومة، إذا كانت الحكومة لا تقر بهذا، حينئذٍ هذا أمر الله بالنسبة لهم، وحكم الله بالنسبة لهم، ومن ثمّ لا يُطالبون هم بتنفيذ هذه الحدود.

الآثار التي تحصل من الاجتماع.

١) جعل الناس يستشعرون مواجهة العدو، عندما يكون هناك اجتماعٌ فبالتالي يستشعرون أن لديهم أعداءً، والأمة في جميع عصورها لن تخلوَ من أعداء، يحاولون أن يتغلبوا عليها، وبالتالي إذا كان هناك أخوةٌ إيمانيةٌ، هناك اجتماعٌ وتآلفٌ فسيؤدي ذلك بهم إلى أن يكونوا يدًا واحدةً على من ناوأهم، ولن يتمكن العدو من الدخول بينهم.

٢) أن يكون الناس يتفقد بعضهم بعضًا، أنا أتفقد ما عندك، وأنت تتفقد ما عندي، ونحاول أن نصحح الأمر، إما بنصيحةٍ، أو بأمرٍ ونهيٍ من قِبل الولاية أو نحو ذلك.

٣) زيادة هيبة المسلمين في القلوب، فإن لرؤية المسلمين على حالٍ واحدةٍ، ومتفرقين، هذا يورث الإنسان عزةً ويجعلهم يتمكنون من المطالبة بحقوقهم.

٤) من الأمور التي ينبغي أن تُلاحظ أنه متى وُجد تعاونٌ سيكون هناك منافسةٌ، وبالتالي تصل الأعمال إلى أقصى درجات حسنها وكمالها، لكن لو كان كل واحدٍ لوحده، فحينئذٍ يمل بعضهم من سلوك هذا الطريق الذي يظن أنه وحده، وبالتالي يحصل من النقص ما الله به عليمٌ.

٥) من الأمور التي ينبغي أن تُلاحظ أن أعداء الدين يحاولون أن يفرقوا بين المؤمنين، وعلى جميع الأصعدة، لكن الشريعة تحاول الجمع والاجتماع، ولذلك جعلت هناك تصحيحًا لما في النفوس لتتقبل الآخرين، ولتتعاون معهم، ولتكون محسنةً إليهم، وتصحيح ما في الأسرة، تصحيح ما في المجتمعات الصغيرة، كلها سعت إليها الشريعة ليوجد بينهم رباطٌ شرعيٌّ وثيقٌ يربط بعضهم ببعضهم الآخر.

٦) ومن ثم يكون هناك منافسةٌ بين أبناء المسلمين فيصلون إلى أحسن الدرجات وأكملها وأوعاها.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.